

روح المعاني

وحجبه عن نور الهداية فأصبح من الخاسرين لتضرره باستيلائه على العقل فان الوهم إذا انقطع عن معاضدة العقل حمل النفس على أمور تتضرر منها فبعث الله غراباً وهو غراب الحرص يبحث في الأرض أي أرض النفس ليريه كيف يوارى سوءة أخيه وهو العقل المنقطع عن حياة الروح المشوب بالوهم والهوى المحجوب عن عالمه في ظلمات أرض النفس قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى بإخفائها في ظلمة النفس فأنتفع بها فأصبح من النادمين عند ظهور الخسران وحصول الحرمان من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً لأن الواحد مشتمل على ما يشتمل عليه جميع أفراد النوع وقيام النوع بالواحد كقيامه بالجميع في الخارج ولا اعتبار بالعدد فان حقيقة النوع لا تزيد بزيادة الأفراد ولا تنقص بنقصها ويقال في جانب الأحياء مثل ذلك إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أي أولياءهما ويسعون في الأرض فساداً بتثبيط السالكين أن يقتلوا بسيف الخذلان أو يصلبوا بحبل الهجران على جذع الحرمان أو تقطع أيديهم عن أذيال الوصال وأرجلهم من خلاف عن الاختلاف والتردد إلى للسالكين أو ينفوا من الأرض أي أرض القرية وللإتلاف فلا يلتفت اليهم السالك ولا يتوجه لهم ذلك لهم خزي وهوان في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم جنايتهم وقد جاء أن الله تعالى يغضب لأوليائه كما يغضب لليث الحرب ومن أذى ولياً فقد آذنته بالمحاربة نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله لما ذكر سبحانه جزاء المحارب وعظم جنايته وأشار في تضاعيف ذلك إلى مغفرته تعالى لمن تاب أمر المؤمنين بتقواه D في كل ما يأتون ويذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها المحاربة والفساد وبفعل الطاعة التي من عداها التوبة والاستغفار ودفع الفساد وابتغوا إليه أي اطلبوا لأنفسكم إلى ثوابه والزلفى منه الوسيلة هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب إلى الله D من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل إلى كذا أي تقرب إليه بشيء والطرف متعلق بها وقدم عليها للاهتمام وهي صفة لامصدر حتى يمتنع تقدم معمول عليه وقيل : متعلق بالفعل قبله وقيل : بمحذوف وقع حالاً منها أي كائنة إليه ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به كما يشير إليه الكلام قتادة فانه ملاك الأمر كله والذريعة لكل خير والمناجاة من كل ضمير والجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد وقيل : الجملة الأولى أمر بترك المعاصي والثانية أمر بفعل الطاعات وأخرج ابن الأنباري وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الوسيلة الحاجة وأنشد له قول عنترة : إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلى وتخضبى وكأن المعنى حينئذ اطلبوا متوجهين

إليه حاجكم فان بيده عز شأنه مقاليد السموات والارض ولا تطلبوها متوجهين إلى غيره فتكونوا كضعيف عاذ بقرملة وفسر بعضهم الوسيلة بمنزلة فى الجنة وكونها بهذا المعنى غير ظاهر لاختصاصها بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بناء على ماوراه مسلم وغيره إنها منزلة فى الجنة جعلها اﷻ تعالى لعبد من عباده وأرجو أن أكون أنا فاسألوا لى الوسيلة وكون الطلب هنا للنبي صلى اﷻ عليه وسلّم مما لا يكاد يذهب اليه ذهن سليم وعليه يمتنع تعلق الطرف بها كما لا يخفى واستدل بعض الناس بهذه المشروعية الاستغاثة بالصالحين وجعلهم وسيلة بين اﷻ تعالى وبين العباد والقسم على اﷻ تعالى